برغم الظروف الأمنية والاقتصادية البالغة التعقيد

يبقى العيد في بلدنا محتفظاً بطقوسه وتقاليده

إياد عطية
تصوير :نهاد العزاوي

كل عام والعراق يرفل بالخير والمحبة والسلام

متنزه الزوراء ومدينة الألعاب يفتحان أبوابهما في العيد بعد انتهاء أعمال الصيانة والتحضيرات

أسواق بغداد.. بضائع متنوعة وإقبال ملحوظ للمواطنين على الشراء

أمس وقف ملايين الذين اكملوا مراسيم حج بيت اللّه على جبل عرفات ومعهم آلاف الحجاج العراقيين حيث إذ تم نحر الأضاحي ، فداءً لأنفسهم وهو من طقوس الحجيج عند المسلمين.. أنظار عشرات الآلاف من المواطنين العراقيين تتوجه إلى ذلك المكان المقدس.. ومنهم المواطن منعم حسين (٣٦) عاماً معلم..

يقول: (نعم فوالدي سيكون هناك في هذا اليوم، حيث يؤدي فريضة الحج، وهذه كانت أمنيته، سنفتقد والدي في هذا العيد ولكننا سعداء بوجوده هناك وسنبقى نرقب انتظاره، حيث سيجتمع عوائل أخواني وأخواتي في بيتنا لاستقباله، وقد هيأنا الشرابت والحلويات والذبيحة وندعو أن يعيده سالماً وبأتم الصحة والعافية كما ندعوه أن يحفظ بلدنا وشعبنا من كل مكروه، وأن يعيد علينا العيد وبلدنا ينعم بالخير والسلام.

تحد

الذين يغتالون أفراحنا وأحلامنا، ويسرقون الضحكة من شفاه أطفالنا وينشرون الموت والخراب في بلادنا، لهم الموت ولنا الحياة.. لهم الجحيم ولنا السلام والأفراح والأعياد..

فليعد الله علينا هذه المناسبة، وشعبنا وبلدنا الحبيب يرفل بالمحبة والوئام والأمن والاستقرار.. وكل عام والعراقيين الطيبين بألف خير.. هكذا بادرتنا نور عادل (٢٤) سنة طالبة في الجامعة المستنصرية - كلية الهندسة عندما سألناها عن مشاعرها في هذا العيد..

سنواصل الحياة

ومضت نور تقول: سنواصل الحياة بكل فصولها وسنقيم أعيادنا وأفراحنا وطقوسنا، فمهما امتدت مخالب الشر فالخير أقوى، والحب أقوى وشتان ما بين الذين يزرعون الخير والمحبة والحياة وما بين الذين ينشرون الرعب والشر والموت.. ثم تستدرك قائلة: من حقنا ان نعيش الحياة، من حقنا أن نفرح، ككل البشر، فلماذا يريدون قتل أحلامنا وأفراحنا وكل الأشياء الجميلة في حياتنا أنا مصرة أن أعيش الحياة، مصرة أن اتمتع بفرحة العيد وأجوائه وطقوسه - وهكذا قررت كما صديقاتي.. أن لا ندع أحداً يحرمنا من لحظة فرح، وندعو الله أن يعمي بصر هؤلاء الأشرار كما أعمى بصائرهم، كي لا يفسدوا علينا متعة وأفراح العيد.

فرح الأطفال

يرتبط العيد في ذاكرة العراقيين بأيام الطفولة ومع أن العيد هو عيد الجميع لكن الأطفال لهم الحظوة الأولى في قائمة اهتمامات وتحضيرات العائلة العراقية.. هكذا قال لنا عادل ناصر (٥٤) عاماً معلم متقاعد: نريد أن يفرح أطفالنا.. فرحنا نحن الكبار يأتي من خلال فرحة أطفالنا ولهذا فأنا حريص أن يتمتع أطفالي بأفراح العيد.. لقد تبضعنا قبل أيام.. واشتريت ملابس جديدة لأبنائي سحر ومريم ويوسف واتفقت مع والدتهم أن نأخذهم إلى مدينة الألعاب أو إلى متنزه الزوراء، بعد أن نزور أقاربنا أخواتي وأخوتي أطفالنا يجب أن يفرحوا، يجب أن يعيشوا بأمان. كما أطفال العالم.

أما زوجته السيدة منى (٣٧) عاماً فقالت: لقد انتهى أطفالنا لتوهم من أداء امتحانات نصف السنة، والعيد فرصة طيبة لينفسوا عن أنفسهم.. لا شيء يخيفنا قدر تلك الانفجارات التي ترعب الأطفال وأدعو الله أن يحفظ أطفالي وأطفال العراق الذين عانوا الكثير وحان الوقت الآن ليفرحوا ويتمتعوا بطفولتهم ويحميهم من شر الأشرار..

تضيف: أنا أرى فرحة العيد في عيون أطفالي وفي لهفتهم بانتظار هذا اليوم.. فالأطفال هم نسغ الحياة وهم الأمل دائماً.. وكل ما نريده هو أن يحيا أطفالنا بفرح وخير وأمان.

طقوس عراقية

من شمال العراق حتى جنوبه تبقى الطقوس العراقية واحدة.. وللعيد في العراق طقوس وتقاليد، تبدأ قبل العيد بأيام وتشرح لنا السيدة إيمان شريف (٤٢) سنة جانباً من هذه الطقوس.

تقول إيمان: الكليجة هي أشهر المعجنات التي تهيئها ضمن معجنات العيد والكليجة ارتبطت بأعياد وأفراح العراقيين.. والنساء العراقيات ماهرات بإعداد الكليجة المعروفة التي يتم إعداد عجينتها وحشوها بالفستق والجوز واللوز أو التمر، (والجوز هند) أو بأنواع أخرى من الحشوات، والحقيقة أن العراقيات يتفنن بإعداد المعجنات وخصوصاً الكليجة.. إذ تقدم إلى الزوار من الأصدقاء والمعارف مع الشاي أو الشربت.

وتواصل السيدة إيمان حديثها عن الطقوس العراقية في الأعياد وخصوصاً في عيد الأضحى.. قائلة: بعد إداء صلاة العيد فإن العوائل تتجمع في بيت الأب أو الجد والصغار في السن هم الذين يذهبون إلى الأكبر سناً.. الأم والأب أو الأخ أو الأخت الكبرى.. ويتم في عيد الأضحى نحر الذبائح وتوزيعها على الفقراء أو المعارف.. والعيد يمثل فرصة طيبة للتزاور والتعارف بين العوائل العراقية.. وفي عيد الأضحى تقاليد خاصة عند العراقيين منذ قديم الزمان وهي زيارة الموتى من الأهل والأقارب والترحم عليهم.

الملابس الجديدة جزء من طقوس العيد.. فلابد أن يرتدي الجميع ملابس جديدة في العيد خصوصاً الأطفال.. وتحرس العوائل العراقية على هذا التقليد برغم الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الشعب العراقي.. لكنها تقاليدنا وطقوسنا التي ظلت ترافق أعيادنا وأفراحنا.. كما تقول السيدة إيمان.

الانترنت وبطاقات التهنئة

ومن الطقوس الجميلة التي يحرص العراقيون عليها هي إرسال بطاقات التهاني في العيد.. تقول إيمان: العوائل العراقية تتبادل الزيارات وتقديم التهاني هذا تقليد عراقي ونحن نحرص على اللقاء مع أكبر عدد من الأهل والأقارب والأصدقاء ولا ندع فرصة لقاء الأحبة والأصدقاء تفوتنا، أما الأقارب والأصدقاء الذين لا تسمح الظروف بلقائهم لبعدهم أو لكونهم خارج القطر فيتم تبادل التهاني عبر بطاقات التهنئة وإرسالها بواسطة البريد.

وتقاطع رفل (١٧) سنة طالبة في الصف الخامس العلمي كلام والداتها قائلة: يا ماما الآن لا داعي للبطاقات.. يمكننا أن نرسل تهانينا وأمنياتنا وكل ما نحب أن نقوله عبر شبكة الانترنت.

تبتسم السيدة إيمان من دون ان تخفي حنينها إلى أيام بطاقات التهاني وهي تقول: احتفظ بالعشرات من بطاقات التهاني وخاصة من بنات عمي وأبناء عمي واختي وجمعهم الآن خارج العراق.. ولكل بطاقة ذكرى جميلة ترتبط بمواقف وأحداث. ثم تستدرك: اعتقد أن أهلنا وأقاربنا لن يقطعوا إرسال بطاقات التهاني حتى بوجود الانترنت أو الموبايل ولا أنا أنوي الاستغناء عن بطاقات التهنئة لكني مسرورة بالانترنت وسأرسل التهاني عبر شبكة الانترنت أو الموبايل إليهم أيضاً.

العيدية والمراجيح

يقول أسامة رزاق (١٤) سنة: اشترى لي والدي ملابس جديدة وأنا لن ارتديها إلا في العيد.. والدي وعدنا بأنه سيصحبنا إلى مدينة الألعاب أو إلى متنزه الزوراء.. لكن ما يهمني أنا أن أجمع مبلغاً جيداً من العيدية.. أزور أعمامي وخالاتي وأصدقاء والدي وجميعهم سوف يعطونني (عيدية) وبعدها يمكنني أن أذهب مع اصدقائي في المنطقة إلى المراجيح.

يقول رزاق كسار (٤٥ سنة) موظف في وزارة النقل وهو والد أسامة: العيدية جزء من تقاليد العيد، حيث كنا نفرح بها عندما كنا صغاراً حينما كان آباؤنا وأقاربنا يعطوننا العيدية والحقيقة كنا نذهب إلى الساحات والحدائق إذ تنصب هناك المراجيح والألعاب والعربات التي تسحبها الخيول، إذ تجوب بنا شوارع المنطقة وكانت سعادتنا لا توصف الآن جاء دورنا نحن لنعطي العيدية للأطفال، وصارت متعتنا في رؤية الفرح بوجوه أطفالنا.

الأسواق في العيد

كان الجميع قد استعدوا لاستقبال العيد، وفي بلدنا تكون لذلك الاستقبال طقوس خاصة من بينها التسوق وشراء ما يلزم لتقديمه إلى المهنئين من حلويات ومعجنات وعصائر.. ومن ثم شراء الملابس وللأطفال الأولوية في ذلك..

وفي جولة في أسواق بغداد الكبيرة والعريقة قمنا بها قبل العيد، شاهدنا البضائع المنتشرة والمعروضة بطرق مختلفة بشكل لم يسبق له مثل خلال السنوات العشرة الماضية. بسطيات الباعة المتجولين أخذت مكانها أمام المحال التجارية وعرضت هي الأخرى بضاعتها بشكل فوضوي، البضائع المعروضة متنوعة من كل الماركات والمناشئ التجارية وخصوصاً دول شرق آسيا وسوريا ولبنان ويقول مهدي حسن (٤٤) سنة صاحب محل في بغداد الجديدة: إن الإقبال كبير في أيام العيد على الأسواق، والتجار جلبوا بضائع متنوعة خاصة بعد أن تحرر الاستيراد من القيود ودفع الضرائب العالية ونحن اصحاب المحال نشتري البضائع من التجار بأسعار جيدة لذلك ارى أن الأسعار جيدة بل استطيع أن أقول أنها منخفضة.. وهناك إقبال كبير من المواطنين على التبضع خاصة محال بيع ملابس الأطفال والملابس النسائية ومحال بيع الأحذية.

أما المواطن.. إبراهيم خلف (٤٤) سنة الذي كان يتجول في السوق برفقة زوجته وأطفاله.. فعد الأسعار جيدة وأن الإقبال كبير على شراء البضائع وهذا يعود إلى أن شريحة كبيرة من المجتمع قد تحسنت دخولهم الشهرية.. لكنه شكا من الازدحام الكبير، وأن العوائل لا تستطيع أن تتجول في الأسواق بحرية..

الأماكن المقدسة

في العيد فإن الأماكن المقدسة تكون مقصداً "للعوائل العراقية" في بغداد كما في كل محافظات العراق.. وتتوافد على الكاظمية والأعظمية وباب الشيخ حيث أضرحة الأئمة والأولياء العديد العوائل لتقضي أيام العيد في هذه الأماكن.

أبو غيث (٣٨) سنة عامل في معمل لصناعة الأحذية.. اختار أن يقضي أول أيام العيد في الكاظمية.. تعودنا أن نقضي أيام الأعياد في الأماكن المقدسة إذ تجتمع هناك العوائل العراقية من كل المناطق، وللعيد نكهة خاصة في هذه الأماكن كما يقول أبو غيث، وهناك نتعرف على بعضنا وفي العادة أن نحمل معنا امتعتنا ونتشارك مع العوائل الأخرى في تقاسم الطعام والمعجنات والحلويات، والأحاديث الشيقة والطريفة.

مدن الألعاب

ومع دخول العيد فإن أنظار العوائل العراقية لاسيما الأطفال تتوجه صوب مدن الألعاب.. حيث تتوافد آلاف العوائل العراقية على مدن الألعاب الصغيرة مثل مدينة الألعاب في زيونة (ريحانة) التي تفضلها العديد من العوائل والأطفال الذين يجدون المتعة في ألعاب المنطاد، والهيلاهوب، والبالونات وتبقى مدينة الألعاب الكبيرة هي المتنفس الأهم والأكثر شهرة وإقبالاً.. المسؤولون مدينة ألعاب الرصافة يقولون أنهم اكملوا استعداداتهم لاستقبال زوار المدينة في عيد الأضحى المبارك، ويتوقع المسؤولون أن يكون هناك إقبال كبير على مدينة الألعاب.. ويشرح لنا السيد سامي عزة مدير شركة مدينة الألعاب جوانب من هذه الاستعدادات قائلاً: أجرينا صيانة على الأجهزة والالعاب في المدينة من قبل إحدى الشركات العراقية المختصة بصناعة وصيانة أجهزة الألعاب.. ويؤكد مدير شركة الألعاب أن استعداداتهم لم تقتصر على صيانة الأجهزة والألعاب والمرافق الخدمية في المدينة بل امتدت لتشمل توفير أفضل الأجواء الأمنية بمساعدة وزارة الداخلية والدفاع المدني ووزارة الصحة التي ستخصص لنا سيارة إسعاف وملاكاً طبياً لمعالجة أي حادث طارئ لا سمح الله.

وأشار إلى أن مدينة الألعاب تحظى بسمعة طيبة عند المواطنين وهي بالقياس إلى مدن الألعاب الأخرى في بغداد والمحافظات تعتبر الأفضل وألعابها هي الأجمل والأمتع.

وهناك ألعاب مسلية جداً في مدينة الألعاب.. مثل جهاز التلفريك وهي لعبة العربات التي تسير على أسلاك معلقة في الهواء ولعبة الأخطبوط وجهاز (الرولوركوستر) وهي عربات سكة الهبوط السريع التي درج الناس على تسميتها بلعبة (سكة الموت) لأنها لعبة خطرة ومخيفة ولكن الجميع صغاراً وكباراً يصرون على التمتع بلحظات الخوف أثناء الهبوط السريع للعربات، وكذلك لعبة السفينة والخيول الطائرة وهذه الألعاب غير موجودة إلا في مدينة ألعاب الرصافة ويحبها أطفالنا الذين سنحرص على بذل أفضل الجهود من جميع الجوانب من أجل توفير الأجواء الممتعة لهم في العيد ومن الأماكن التي تتمتع بسمعة ومكانة عند العوائل العراقية هو متنزه الزوراء إذ يشهد هذا المتنزه إقبالاً كبيراً في الأعياد والعطل والمناسبات.

ويقول المسؤولون في أمانة بغداد.. بأن متنزه الزوراء جاهز في العيد لاستقبال العوائل العراقية وأن الأمانة قامت بحملة إعمار كبيرة لإحيائه بعدما تعرض إلى التخريب أبان أحداث سقوط نظام صدام.. ويشير السيد عادل العرداوي مدير الإعلام في أمانة بغداد.. إلى أن الأمانة هيأت أفضل الأجواء من جميع النواحي الأمنية والفنية بعدما انتهت من إعادة تأهيل هذا المتنزه.. واحب أن أوضح للعوائل العراقية الكريمة أننا سنحرص على أن تقضي هذه العوائل ساعات ممتعة في المتنزه وسيكون هاجسنا جميعاً أن يتمتعوا في العيد في أجواء أمنية سليمة.

عيد لكل العراقيين

العراقيون شركاء في أفراحهم ومعاناتهم وأعيادهم أيضاً.. يقول السيد بطرس متي: أعياد المسلمين هي أعيادنا وأعيادنا أعيادهم فمثل ما احتفلوا هم معنا في أعياد الميلاد المجيدة.. نحن ايضاً نشاركهم أعيادهم.. لكن هذه المرة نحن الذين سنبادر إلى زيارة أصدقائنا وجيراننا من العوائل العراقية المسلمة لتقديم التهاني والتبريكات والأمنيات السعيدة لهم في هذه المناسبة وهي مناسبة عيد الأضحى المبارك.. وندعو الرب أن يحفظ العراقيين بكل طوائفهم وأن تستمر أعيادهم وتعود والعراق بخير وسلام..

أما ميرفت بطرس (٢٢) سنة، فتقول: سأقوم بزيارة جيراننا في المنطقة أولاً لتقديم التهاني بمناسبة العيد ثم صديقاتي في الجامعة أو الاتصال بهن لتقديم التهنئة.. والحقيقة إننا أيضاً نعيش أجواء العيد مثل كل العراقيين، وخاصة أن إجازته تستمر لأربعة أيام وهي فرصة لتبادل الزيارة مع الأقرباء والأصدقاء.. أمنياتي للعراقيين بعيد سعيد وكل عام والجميع بألف خير.

ويبقى العيد حلواً

الظروف الأمنية التي يمر بها بلدنا الحبيب قد ألقت بظلالها على أجواء العيد.. وتركت بين ضلوع العراقيين غصة وحسرة ودموعاً وآلاماً على الوطن الذي تحاول قوى الشر والضلال أن تنال من أمنه واستقرار ومستقبل أبنائه.. فإننا وجدنا ان المواطن عازم على الاحتفال بالعيد مع أن التجول في ايام العيد سيكون حذراً نظراً لتصاعد أعمال العنف والتفجيرات وللظروف الصعبة التي تمر بها العوائل العراقية فالكهرباء أصبحت شبه معدومة كذلك الماء والوقود صعب المنال بأسعار خيالية.

وتبقى مظاهر العيد حاضرة في لقاء الأهل والأحبة وفي إصرار العوائل على الالتزام بطقوسها وعاداتها وتقاليدها.. فما زالت بيوتنا دافئة بالمحبة وما زالت ملتقى الأبناء والأقارب والأحبة والأصدقاء ويبقى العيد في العراق حلواً برغم كل شيء.